والقذف : الرمي باليد بقوة . واستعير للحصول على العاجل أي حصل الرعب في قلوبهم دفعة دون سابق تأمل ولا حصول سبب للرعب ولذلك لم يؤت بفعل القذف في آية آل عمران (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) .

والمعنى : وجعل ا الرعب في قلوبهم فأسرعوا بالاستسلام . وقذف الرعب في قلوبهم هو حال من إتيان ا إياهم من حيث لم يحتسبوا فتخصيصه بالذكر للتعجيب من صنع ا وعطفه على (أتاهم ا من حيث لم يحتسبوا) عطف خاص على عام للاهتمام .

والرعب : شدة الخوف والفزع . وهذا معنى قول النبي A : " نصرت بالرعب " أي برعب أعداء الدين .

وجملة (يخربون بيوتهم) حال من الضمير المضاف إليه (قلوبهم) لأن المضاف جزء من المضاف إليه فلا يمنع مجيء الحال منه .

والمقصود التعجيب من اختلال أمورهم فإنهم وإن خربوا بيوتهم باختيارهم لكن داعي التخريب قهري .

والإخراب والتخريب : إسقاط البناء ونقضه .

والخراب : تهدم البناء .

وقرأ الجمهور (يخربون) بسكون الخاء وتخفيف الراء المكسورة مضارع : أخرب . وقرأه أبو عمرو وحده بفتح الخاء وتشديد الراء المكسورة مضارع : خرب . وهما بمعنى واحد . قال سيبويه : إن أفعلت وفعلت يتعاقبان نحو أخربته وخربته وأفرحته وفرحته . يريد في أصل المعنى . وقد تقدم ما ذكر من الفرق بين : أنزل ونزل في المقدمة الأولى من مقدمات هذا التفسير .

وأشارت الآية إلى ما كان من تخريب بني النضير بيوتهم ليأخذوا منها ما يصلح من أخشاب وأبواب مما يحملونه معهم ليبنوا به منازلهم في مهاجرهم وما كان من تخريب المؤمنين بقية تلك البيوت كلما حلوا بقعة تركها بنو النضير .

وقوله (بأيديهم) هو تخريبهم البيوت بأيديهم حقيقة في الفعل وما في تعلق به وأما تخريبهم بيوتهم بأيدي المؤمنين فهو مجاز عقلي في إسناد التخريب الذي خربه المؤمنون إلى بني النضير باعتبار أنهم سببوا تخريب المؤمنين لما تركه بنو النضير .

فعطف (أيدي المؤمنين) على (بأيديهم) بحيث يصير متعلقا بفعل (يخربون) استعمال دقيق لأن تخريب المؤمنين ديار بني النضير لما وجدوها خاوية تخريب حقيقي يتعلق المجرور

به حقيقة .

فالمعنى : ويسببون خراب بيوتهم بأيدي المؤمنين فوقع إسناد فعل (يخربون) على الحقيقة ووقع تعلق وتعليق (وأيدي المؤمنين) به على اعتبار المجاز العقلي فالمجاز في التعليق الثاني .

وأما A E فيهما الحقيقي المعنى فإن المتعلقين لكلا بالنسبة حقيقي فهو التخريب معنى العبرة التي نبه عليها قوله تعالى (فاعتبروا يا أولي الأبصار) أي اعتبروا بأن كان تخريب بيوتهم بفعل وكانت آلات التخريب من آلاتهم وآلات عدوهم .

والاعتبار : النظر في دلالة الأشياء على لوازمها وعواقبها وأسبابها . وهو افتعال من العبرة وهي الموعظة . وقول القاموس : هي العجب قصور .

وتقدم في قوله تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) في سورة يوسف .

والخطاب في قوله (يا أولي الأبصار) موجه إلى غير معين . ونودي أولوا الأبصار بهذه الصلة ليشير إلى أن العبرة بحال بني النضير واضحة مكشوفة لكل ذي بصر ممن شاهد ذلك ولكل ذي بصر يرى مواقع ديارهم بعدهم فتكون له عبرة قدرة ا تعالى على إخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال . وفي انتصار الحق على الباطل وانتصار أهل اليقين على المذبذبين .

وقد احتج بهذه الآية بعض علماء الأصول لإثبات حجية القياس بناء على أنه من الاعتبار .

(ولولا أن كتب ا عليهم الجلآء لعذبهم في الدنيا) جملة معترضة ناشئة عن جملة (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) . فالواو اعتراضية أي أخرجهم ا من قريتهم عقابا لهم على كفرهم وتكذيبهم للرسول A كما قال (ذلك بأنهم شاقوا ا ورسوله) ولو لم يعاقبهم ا بالجلاء لعاقبهم بالقتل والأسر لأنهم استحقوا العقاب . فلو لم يقذف في قلوبهم الرعب حتى استسلموا لعاقبهم بجوع الحصار وفتح ديارهم عنوة فعذبوا قتلا وأسرا .

والمراد بالتعذيب : الألم المحسوس بالأبدان بالقتل والجرح والأسر والإهانة وإلا فإن الإخراج من الديار نكبة ومصيبة لكنها لا تدرك بالحس وإنما تدرك بالوجدان